مجلة

العلوم الإنسانية

علمية محكّمة - نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Issued by Faculty of Arts - Alkhums - Elmergib University - Libya

30

العدد

الثلاثون

مارس

2025م

تصنيف معامل التأثير العربي 2024م (2.05)

تصنيف معامل ارسيف Arcif 2024م (0.0185)

تصنيف الرقم الدولي (2710-3781/ISSN)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

خطاب أهل الكتاب عن طريق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
دراسة نحوية، صرفيه، بلاغية
(تحليل آيات مختارة من سورة البقرة)

إعداد: أ. زهرة أحمد يحي •
أ. نورية عمران أبو ناجي •

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الخطاب القرآني الموجه إلى أهل الكتاب بواسطة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم؛ وذلك للوقوف على أسباب عِدَاء أهل الكتاب من اليهود والنصارى للإسلام والمسلمين قديماً وحديثاً من خلال النظر في تفسير بعض الآيات الواردة في هذا النوع من الخطاب.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة، فاشتملت المقدمة على أهمية الموضوع، والهدف منه، وتوضيح سبب اختياره، وتضمَّن المبحث الأوَّل؛ مفهوم الخطاب وأنواعه، وتضمَّن المبحث الثاني تحليل نحوي، صرفي، بلاغي للآيات محل الدراسة؛ لإبراز البراعة اللغوية، والإعجاز القرآني، في تناول موضوع أهل الكتاب، وفي الخاتمة تمَّ ذكر ما توصلنا إليه من النتائج خلال هذه الدراسة.

Summary:

This study aims to analyze the Qur'anic discourse addressed to the People of the Book by the Holy Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace; in order to find out the reasons for the hostility of the People of the Book of Jews and Christians to Islam and Muslims in ancient and modern times by explaining and analyzing some of the verses contained in this type of speech.

This study came in an introduction, two discussions and conclusion, so the introduction included the importance of the subject, the purpose of it, and the explanation of the reason for choosing it. The

• قسم اللغة العربية وآدابها –كلية الآداب الخمس–جامعة المرقب.
• قسم اللغة العربية وآدابها –كلية الآداب الخمس–جامعة المرقب.

first discussion included the concept of discourse and its types, and the second discussion included a detailed study of the verses (the subject of study) with a grammatical, erharal and rhetorical analysis to highlight the linguistic prowess and the Qur'anic miracle in dealing with the subject of the people of the book, and in the conclusion the results we reached were mentioned during this study.

الكلمات المفتاحية: الخطاب – الخطاب القرآني – أهل الكتاب – الخطاب المباشر– الخطاب غير المباشر.

المقدمة:

إن دراسة الخطاب القرآني الموجه إلى أهل الكتاب يشكل أحد أهم الموضوعات التي تعكس بجلاء أساليب القرآن الكريم في مخاطبة الآخرين بمختلف انتماءاتهم الدينية والثقافية، ويعتبر الخطاب القرآني الموجَّه إلى أهل الكتاب في العديد من الآيات القرآنية من أبرز مظاهر التنوع البلاغي، واللُّغوي، في القرآن الكريم، ومن بين السور التي تحتوي على هذا النوع سورة البقرة، والتي تحتوي على عدد من الآيات التي توجه الخطاب إلى أهل الكتاب، مما يتيح تحليل الأساليب اللغوية التي اعتمد عليها القرآن الكريم في هذا السياق.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع، وتعلقه بالدين الحنيف، وتأصله في التاريخ؛ فقد حاز اهتمام الكثير من الباحثين قديماً وحديثاً، فكانت هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع من جوانب عِدَّة، منها:

1– لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل، دراسة أسلوبية دلالية، إعداد: لافي محمد محمود زقوت، إشراف، أ. د. خليل عودة، و أ. د. يحي جبر، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010م، و هي دراسة الخطاب القرآني الوارد في بني إسرائيل من المستوى الصوتي، وذلك للوقوف على الظواهر الصوتية التي تضمنها هذا الخطاب، مثل: التنغيم، والتماثل، وغيرها، ودور ذلك في توفير المعاني البلاغية التي يستدعيها السياق.

2- خطاب القرآن الكريم عن اليهود، دراسة نصيَّة، إعداد: د. عرفة عبد المقصود عامر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2010م، وهي دراسة لخصائص الخطاب القرآني عن اليهود وعلاقته بالواقع في ضوء مستويات اللغة: (الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي) .

3- الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديماً وحديثاً، إعداد: هود محمد منصور أبو راس، جامعة ملايا، كوالالمبور، ماليزيا، 1431هـ - 2011م، وهي دراسة للخطاب القرآني بشكل أوسع وأشمل؛ حيث تمَّ فيها التعريف باليهود والنصارى، وذكر أنواع الخطاب الموجه لهم وأساليبه إلى غير ذلك من القضايا التي تخدم البحث العلمي، وتُعدّ هذه الدراسة هي الأقرب إلى موضوع بحثنا هذا.

4- دلالة الخطاب القرآني من خلال النداء الموجه لبني إسرائيل، إعداد: فتحية غزال، جامعة عمَّار ثليجي، الأغواط، الجزائر، 2021م، وهي دراسة دلالية أسلوبية للخطاب القرآني الموجه لبني إسرائيل، لاستخلاص العظات والعبر، فتكون سراجاً منيراً للمسلمين يسيروا على خطاها للفوز برضا الله تعالى.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الكشف عن الطريقة التي خاطب بها القرآن اليهود أهل الكتاب عن طريق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم -، وبيان الأسباب الحقيقية وراء العِداء الشديد من قبل اليهود للإسلام والمسلمين.

أهمية البحث:

تكمن أهمية دراسة الخطاب القرآني الموجه إلى أهل الكتاب في فهم كيفية استخدام القرآن الكريم للجوانب النحوية، والصرفية، والبلاغية، التي تضمنتها الآيات محل الدراسة، للتأثير والتوجيه، فهذه الدراسة تكشف عن دقة اختيار القرآن الكريم للأساليب اللغوية في معاملة الآخرين، مع اختلافاتهم الدينية والثقافية، ممَّا يعزز

فهم العلاقة بين الأديان، ويُبيِّنُ الارتباط الوثيق والعلاقة القوية بين الأساليب النحوية، والدلالات الصرفية، والصور البلاغية، ودورها في آداء المعنى المراد.

هدف البحث:

دراسة الأساليب النحوية، والدلالات الصرفية، والصور البلاغية، التي تضمنتها الآيات (محل الدراسة) لبيان دورها في تحليل النصوص القرآنية بما يحقق الفهم العميق للنص القرآني.

سبب اختيار الموضوع:

تمَّ اختيار هذا الموضوع لما له من أهمية بالغة؛ وذلك لعلاقته المباشرة بديننا الإسلامي، وكتابنا العزيز، وقد كانت هذه الدراسة في سورة البقرة؛ لأنها تحتوي على آيات متعددة من الخطاب القرآني المتنوِّع الموجه إلى أهل الكتاب، وخاصة في سياق التوجيهات المتعلقة بالعقيدة والشريعة، كما أنَّ هذه السورة تتميز بثراء لغوي، ونحوي، وصرفي، مما يجعلها مادة غنية للبحث في دراسة الخطاب القرآني.

وقد قسمنا هذا البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة: فتضمنت المقدمة: مشكلة البحث، وأهميته، والهدف منه، وسبب اختياره، وتضمن المبحث الأول: تعريف الخطاب، وأنواعه، وتضمن المبحث الثاني: دراسة الخطاب القرآني الموجه إلى أهل الكتاب بواسطة الرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم، أمَّا الخاتمة فقد تمَّ فيها ذكر ما توصلنا إليه من نتائج من خلال هذه الدراسة.

المبحث الأول: الخطاب لغة واصطلاحاً:

الخطاب لغة[1]:

من (خَطَبَ) يَخْطُبُ، خِطَاباً، وخَاطَبَه مُخَاطَبَة إذا قصده بالكلام لإفهامه.

والخِطابُ: الرِّسالة؛ والمحادثة، والتكليم.

الخطاب اصطلاحاً[2]:

هو توجيه الكلام لمستمع أو أكثر لغرض الإفهام.

الخطاب القرآني[3]: هو كلام الله – عزَّ وجلّ – في القرآن الكريم، الذي أوحى به على رسوله الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم –، لينقله إلى المكلفين، لتعليمهم كل ما يتعلق بأمور دينهم.

والخطاب القرآني من حيث الموجَّه إليه أنواع منه: خطاب الملائكة، وخطاب الرسل، وخطاب المؤمنين، وخطاب أهل الكتاب[4]، وهذا النوع هو محل الدراسة في هذا البحث.

([1]) ينظر: الجوهري، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، 122/1، وابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 361/1، وعبد الرحمن الفوزان وآخرون، المعجم العربي بين يديك، ص 133، وإميل بديع يعقوب، موسوعة علوم العربية دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 370/5.

([2]) ينظر: المناوي، التوقيف في مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ص 156، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 749/1.

([3]) ينظر: أحمد خليل، دراسات في القرآن، دار النهضة، بيروت، ص 13، دلالة الخطاب في القرآن الكريم، إعداد: شباب معمر، كلية الآداب، اللغات والفنون، جامعة وهران السانية، الجزائر، ص 19.

([4]) أهل الكتاب: هو اسم يطلق على اليهود والنصارى في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 122/1، وابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 361/1.

مفهوم الخطاب القرآني الموجه إلى أهل الكتاب[1]:

يراد بالخطاب القرآني كل ما جاء في القرآن الكريم يحمل خطاباً من الله – عزَّ وجلَّ – لأهل الكتاب؛ وقد جاء هذا الخطاب لأغراض مثل: تعداد النعم[2] التي أنعم الله بها عليهم، أو لوعظهم وإرشادهم، أو لإقناعهم بالحجج والبراهين على صدق ما جاء به الدين الحنيف، وآخر الرسل في كتبهم، أو لتحذيرهم من عاقبة ما هم عليه من الزيف والخداع.

والحكمة في خطاب أهل الكتاب هي التذكير بأنهم يعلمون ما في الكتب السماوية السابقة من البشارات والإشارات إلى آخر الكتب السماوية، والدين الجديد آخر الأديان، وخاتم الأنبياء والرسل النبي المنتظر وصفاته، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾. العنكبوت، الآية (43).

ولذلك كان من الجدير بأهل الكتاب الانقياد لهذا الخطاب الموجه إليهم، والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه.

أنواع الخطاب القرآني الموجه إلى أهل الكتاب[3]:

أولاً: الخطاب المباشر من الله – تعالى – إلى أهل الكتاب:

وهو الخطاب الذي وجهه الله – سبحانه وتعالى – مباشرة إلى أهل الكتاب، منه:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ مَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَ الإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ(64) هَانتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ

([1]) ينظر: هود محمد أبو راس، الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديماً وحديثاً، أكاديمية الدراسات العليا، ماليزيا، ص 39.

([2]) منها: فرق البحر، وتفجير الحجر، وإنزال المن والسلوى عليهم، ونجاتهم من عبودية آل فرعون، ومجيء الأنبياء والرسول منهم، إنزال الكتب عليهم؛ وتظليل الغمام لحمايتهم من الحر.

([3]) ينظر: هود أبو راس، الخطاب القرآني لأهل الكتاب، ص 42، وفتحية غزال، دلالة الخطاب القرآني من خلال النداء الموجه لبني إسرائيل، مجلة قضايا معرفية، العدد (السادس)، جامعة عمَّار ثليجي، الأغواط، الجزائر، ص 44، 45، 46.

عِلْمٌ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران، الآيتان (64، 65). في الآيتين السابقتين يظهر خطاب الله لأهل الكتاب مباشرة، حيث جاء الخطاب على صورة النداء وباستخدام الاستفهام، فيجادلهم – تعالى – ويحاججهم على تنازعهم في إبراهيم أكان يهودياً أم نصرانياً، في حين أنه لم يرد ذكر لأمره في التوراة ولا في الإنجيل، فكيف تتنازعون فيما لم يرد في كتبكم شيء عنه!؟ وكيف تنسبونه إليكم وهو متقدم عنكم بأمد طويل!؟ ألا تدركون ذلك بعقولكم!؟[1].

وقوله تعالى: ﴿يَأَهْلَ الْكِتَبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ(15) قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَبٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة، الآيتان (15)(16)، فقد خاطب الله – تعالى – أهل الكتاب في هاتين الآيتين، فبين لهم أنَّه من دلائل وحجج صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنّه قد ذكر لهم كثيراً مما عملوه وأخفوه من أمور دينهم ممَّا جاء في كتبهم وكان يجب أن يعلمه الناس، وترك ما لا يقتضي ذكره لعدم وجود ضرورة لبيانه، وأنه جاءكم من الله الدين الصحيح والقرآن الكريم على لسان محمد – صلى الله عليه وسلم – ليبين لكم الحق من الباطل[2]، وغير ذلك كثير من المواضع التي جاء الخطاب فيها من الله – تعالى – إلى أهل الكتاب مباشرة.

ثانياً: الخطاب من الله – عزَّ وجلَّ – إلى أهل الكتاب عن طريق الأنبياء والرسل:

وهو الخطاب الذي وجهه الله – سبحانه وتعالى – إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى عن طريق رسله وأنبيائه، وعباده المؤمنين وغير ذلك، منه:

([1]) ينظر: القرطبي (أبو عبد الله) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار الكتب المصرية، القاهرة، 107/4، 108، والبيضاوي (أبو سعيد عبد الله)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 22/21/2.

([2]) ينظر: السمرقندي (أبو الليث)، بحر العلوم، 378/1، والبغوي (أبو محمد) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، دار طيبة للنشر والتوزيع، 33/3.

1- خطابهم عن طريق محمد – صلى الله عليه وسلم –:

وقد حاز هذ النوع من الخطاب مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً (في المبحث الثاني)، وهو موضوع الدراسة في هذا البحث.

2- خطابهم عن طريق موسى – عليه السلام –:

وذلك نحو قوله – تعالى –: ﴿وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤاً قَالَ أَعُوذُ بَاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَهِلِينَ﴾ البقرة، الآية (66)، فقد خاطب الله – عزَّ و جلَّ – قوم موسى عن طريق موسى – عليه السلام – حيث أمرهم بذبح بقرة لكشف حقيقة القتيل، فلما عرفوا صدق نبوته اتهموه بالسخرية والاستهزاء بهم فرد ذلك بأن الله قد أمره بذلك، فلما شَدَّدوا في الخطاب شدَّدَ الله عليهم في الجواب[1]، وقد كان هذا الخطاب والجواب بين الله – تعالى – وقوم موسى عن طريق موسى – عليه السلام –:

ومنه أيضاً قوله – تعالى –: ﴿وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَءَاتَكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّنِ الْعَلَمِينَ﴾ المائدة، الآية (22)، وفي هذه الآية يخاطب الله قوم موسى عن طريق موسى – عليه السلام – ويطلب منهم شكره على نعمه التي أنعم الله بها عليهم إذْ جعل منهم الأنبياء والملوك وفي هذا تفضيل لهم عن غيرهم، فكان من الأحرى بهم عبادة الله وحده وشكره على نعمه[2].

وقوله – تعالى –: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَاصْبِرواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الأعراف، الآية (127)، وفي هذه الآية يخاطب الله قوم موسى على لسانه – عليه السلام – فيقول لهم: اصبروا على

([1]) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، 62/1، والسمعاني (أبو المظفر)، تفسير القرآن، دار الوطن، الرياض، السعودية، 91/1.

([2]) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، 381/1، والسعدي (عبد الرحمن بن ناصر)، تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ص 227.

الأذى، واستعينوا بالصلاة وفعل الطاعات فإن الأرض لله – تعالى – وسيورثها لعباده المتقين جزاءً لهم على طاعتهم أوامره واجتنابهم نواهيه[1].

3- خطابهم عن طريق عيسى – عليه السلام –:

وذلك نحو قوله – تعالى –: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ المائدة، الآية (74)، وقوله – عَزَّ وجلَّ –: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِيَ اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، الصف، الآية (6).

ففي الآية الأولى خاطبهم الله على لسان عيسى – عليه السلام –، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وحذَّرهم من الشرك، وبَيَّن لهم سوء العاقبة والمصير المترتب عليه[2]. وفي الآية الثانية كان خطاب الله – عزَّ وجلَّ – لهم على لسان نبيه عيسى – عليه السلام – بشأن إقناعهم، بأنه رسول الله إليهم، وقد جاءهم بالدين الصحيح، وهو مصدِّق ومؤكد لما سبقه من الرسل والكتب، وقد بشَّرهم بالرسول المنتظر محمد – صلى الله عليه وسلم–، وأمرهم بالإيمان به، وبجميع الكتب السماوية، وقد جاءهم بالمعجزات برهان على صدقه معهم، فما كان منهم إلاَّ أن اتهموه بالسحر[3].

في الآيات السابقة خاطب الله – تعالى – أهل الكتاب بطرق غير مباشرة، وذلك عن طريق أنبيائه، فبث لهم ما أراده منهم من اتباع أوامره واجتناب نواهيه، وذلك لإقامة حجة الإبلاغ عليهم.

([1]) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، 542/1، البيضاوي، أنوار التنزيل، 29/3.

([2]) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، 408/1، والسمعاني، تفسير القرآن، 55/2.

([3]) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم: 443/3، والسمعاني، تفسير القرآن، 426/5، وابن كثير (أبو الفداء)، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 136/8.

المبحث الثاني:

الخطاب الموجه إلى أهل الكتاب عن طريق الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم–[1]:

الخطاب الموجه إلى أهل الكتاب كثير في القرآن الكريم، وقد ضمَّت سورة البقرة مواضع عِدَّة لهذا الخطاب، فجاء في كمال الإعجاز وقوة البلاغة وعلى أعلى درجات التميز بلفظه ومعناه؛ حيث كان مصدراً بفعل الأمر (قل)، مناسباً لما كان عليه أهل الكتاب من العناد والإنكار، وفيما يلي دراسة لبعض ما جاء منه في السورة المذكورة آنفاً.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذتُمْ عِندَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة، الآية (79).

المفردات[2]:

﴿تمسنا﴾، مَسَسَ، أَمَسَّه، مَسِسْتُه، مسَاً، أي: لمستُه، والمَسُّ كاللَّمسِ، إلاَّ أنَّ اللَّمْسَ قد يكون لطلب شيء ما، والمَسَّ يكون معه إدراك بحاسة اللمس، وقد استخدم في التعبير عن الجنون، ويقال في كل ما يصيب الإنسان من الأذى.

أضيف العهد إلى ضمير الخالق – عزَّ وجلَّ – للتأكيد على عدم إخلافه لكل العهود التي يصدرها – سبحانه وتعالى –، ﴿أم تقولون﴾، أم المعادلة، وهي هنا بمعنى ﴿بل﴾، والاستفهام ليس على الحقيقة؛ وذلك لأنَّ الرسول الكريم يعلم أنهم إنما يقولون على الله ما لا يعلمون.

الجانب البلاغي[1]:

([1]) ينظر: هود أبو راس، الخطاب القرآني لأهل الكتاب، ص 43.

([2]) ينظر: الجوهري، الصحاح، 978/3، والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ص 766، 767،وابن منظور، لسان العرب،217/6.

﴿وقالوا لن تمسنا النار إلاَّ أياماً معدودة﴾، ﴿قالوا﴾ المراد به اعتقادهم أو ظنهم، وإنما عبَّر بالقول لبيان جرأتهم، والجملة استئناف بياني؛ لبيان جرأتهم على الله – سبحانه وتعالى – وعظيم جرمهم، مِمَّا يدعوا السامع للعجب مما هم عليه من التزييف والخداع، و ﴿اتخذتم﴾، استفهام غير حقيقي للتوبيخ والتهكم لمقالتهم ﴿أتخذتم عند الله عهداً﴾، ﴿اتخذتم﴾، عبَّر بالاتخاذ دون (أعاهدتم)؛ لأنَّ الاتخاذ فيه من التأكيد ما يجعل الموعود به حقيقة لا ريب فيه، ﴿عهداً﴾ وهو الوعد، وجاء بالعهد على سبيل الاستعارة، فالعهد هو الوعد المؤكد بالقسم، وفيه دلالة على وفائه – سبحانه وتعالى – بكل عهوده، وتنزيهٍ له عن القبح والنقائص، ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ الاستفهام على غير الحقيقة، والمراد به: بل تقولون على الله ما لا تعلمون، وذلك للمبالغة في توبيخهم على مقالتهم على الله كذباً وافتراءً، ﴿على الله﴾ قدَّم الجار والمجرور لبيان عظم جرمهم، وجرأتهم على الله بقول ما لا يعلمون.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهْوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُل فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ البقرة، الآية (90).

المعنى الإجمالي للآية[2]:

من مظاهر قبح أخلاق اليهود وأفعالهم؛ موقفهم من الرسل والكتب السماوية، حيث أخبر الله عنهم أنَّه حين أمرهم بالإيمان بالكتب السماوية وجميع الرسل قالوا: نؤمن بما أنزل إلينا؛ وذلك لشدة عنادهم وعصيانهم وكفرهم، وقد ردَّ الله – عزَّ وجلَّ –

([1]) ينظر: أبو السعود (محمد بن محمد)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 121/1، والألوسي (شهاب الدين)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، دار الكتب العلمية بيروت، 304/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 580/1، ومجمع القرآن الكريم بالشارقة، موسوعة التفسير البلاغي، منشورات القاسمي، 655/1.

([2]) السمرقندي، بحر العلوم، 73/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، 29/2، وابن كثير، تفسير ابن كثير، 218/1.

عليهم لتكذيبهم للرسل على لسان رسوله الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم – فأمره بمواجهتهم، وتوبيخهم ومقارعتهم بالبراهين والحجج، فقال: قل لهم يا محمد: إن كنتم قد آمنتم بالتوراة فلِمَ تقتلون أنبياء الله!؟، فثبت كذب وبطلان ما ادَّعوه من إيمانهم بما جاء به موسى – عليه السلام –، حيث إنَّ الإيمان وقتل الأنبياء لا يجتمعان، وقد وقع القتل فيما مضى وجاء الخطاب القرآني لليهود الذين هم في حضرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؛ لأنهم راضون بما فعله آبائهم وأسلافهم من قتل الأنبياء وتكذيبهم، وهم بذلك مشتركون معهم في التمرد والعصيان.

الجانب الصرفي والنحوي[1]:

﴿وإذا قيل لهم ءامنوا ...﴾ معطوف على ما قبله وهو قوله – تعالى – ﴿وقالوا قلوبنا غلفٌ﴾، وذلك لإفادة بيان أحوالهم وأعذارهم في الإعراض عن الانقياد للدعوة الإسلامية، واتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، وقد استعملت (إذا) الإشارية؛ لإفادة وقوع الدعوة للإيمان من قبل المؤمنين، ﴿لهم﴾ دخول الجار على ضميرهم لإفادة حقيقة تبليغهم بالدعوة، ففيه تأكيد مع الاختصاص، ﴿قالوا نؤمن بما أنُزل علينا﴾ عبَّر بصيغة المضارع؛ لإفادة الدوام والاستمرار في الإيمان كما جاء في ادِّعائهم، ﴿أنزل علينا﴾ حذف الفاعل؛ للعلم به تعظيماً لذكره، فمن المعلوم أنه لا ينزل الكتب السماوية إلاَّ الله – تعالى –، وهو إيماءٌ إلى اعتذارهم عن الإيمان بالدعوة الإسلامية، ﴿ويكفرون بما وراءه﴾، عبَّر بالمضارع؛ للدلالة على استمرارهم ومداومتهم على الكفر بما جاء بعد التوراة، و ﴿ما﴾ دالة على العموم أي بكل ما أنزل الله سوى التوراة، ﴿وهو الحق مصدقاً﴾، ﴿وهو الحق﴾ ابتداء وخبره، ﴿الحق﴾ عرِّف المسند إليه؛ للمبالغة في توبيخ اليهود ووصفهم بالجهل، ﴿مصدقاً﴾ حال مؤكدة، أريد بها أنَّ ما بعد التوراة جاء مصدقاً لها، ﴿قل﴾ أمر موجه للنبي الكريم

([1]) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، 492/1، والألوسي، روح المعاني، 223/1. وابن عاشور، التحرير والتنوير، 606/1،

لوجوب الرد عليهم تبكيتاً وتقريعاً لهم، ﴿فِلمَ تقتلون...﴾ الفاء واقعة في جواب الشرط المحذوف والتقدير: إن كنتم مؤمنين بما جاء في التوراة فلمَ تقتلون أنبياء الله.

وعبر بالمضارع ﴿تقتلون﴾، والمراد الماضي، أي: لِمَ قتلتم، بقرينة ﴿من قبل﴾، فقد وقع القتل في الماضي، وعبَّر عنه بالمضارع؛ ليدل على أن الأمر مستمر منهم، ﴿أنبياء الله﴾ في إضافة الأنبياء إلى لفظ الجلالة تشريف وتعظيم لهم، وأن من جاء من عند الله يجب أن يعظم وينصر، لا أن يكذب ويقتل،﴿إن كنتم مؤمنين﴾ شرط، وجوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه والتقدير: إن كنتم مؤمنين فلِمَ فعلتم ذلك.

الجانب البلاغي[1]:

﴿وإذا قيل لهم ءامنوا بما أنزل الله﴾، كناية عن سوء حالهم وما آل إليه أمرهم وشأنهم من العصيان والتكذيب والرفض لما دُعُوا إليه من الإيمان، ﴿ءامنوا بما أنزل الله﴾، المراد الإيمان بالقرآن؛ للإيذان والإشعار بضرورة الامتثال، وتنبيهاً على أنَّ الإيمان بغيره وترك الإيمان به لا يُعد من الإيمان،﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾، كناية عن التوراة وما في حكمها، وفي قولهم هذا إظهار لحقدهم وبغضهم للرسول الكريم، ﴿ويكفرون﴾ جملة حالية لبيان شناعة حالهم من التناقض في إيمانهم، أي كيف يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وقد حُذِف المسند إليه ﴿هم﴾؛ وذلك للعلم به بدلالة السياق، ﴿بما وراءه﴾ استعارة تبعية تصريحية، بمعنى أن القرآن – على قولهم – شابه الشيء الذي وراءهم فلا يرونه، ﴿وهو الحق﴾، الجملة لوصف القرآن بالحق والكمال؛ وذلك لثبوته وعدم زواله، وهذا ذم لهم لكفرهم بما هو حق في علمهم، فكفرهم كان للعناد والعصيان، ﴿مصدقاً﴾ حال لتأكيد أن الكتب السماوية يصدق بعضها بعضاً، ومَنْ لم يصدق بما جاء بعد التوراة لم يصدق بها؛ لأنها مؤكدة ومقررة لما بعدها، ﴿لما معهم﴾، كناية عن التوراة، ﴿قل فلِمَ تقتلون أنبياء الله

([1]) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 129/1، والألوسي، روح المعاني، 323/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 607/1، ومجمع القرآن الكريم بالشارقة، موسوعة التفسير البلاغي، 745/1.

من قبل إن كنتم مؤمنين﴾، أمر من الخالق – عزَّ وجلَّ – للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – بتقريرهم وتقريعهم باستخدام الاستفهام الإنكاري التقريري؛ كيف تدّعون الإيمان بالتوراة وتقتلون الأنبياء، وإسناد القتل إلى مَن هم بحضرة الرسول الكريم مجاز؛ وذلك أنَّ مَنْ فعل القتل هم آباؤهم، إلاَّ أنَّهم لمَّا رضوا به فكأنهم فعلوه، ﴿إن كنتم مؤمنين﴾، تأكيد لانتفاء إيمانهم، وتكذيب لادِّعائهم له، وقد كرر أسلوب الشرط للتأكيد على عدم إيمانهم، وفي أسلوبي الشرط حذف، فحذف من الأول ما ذكر في الثاني، وحذف من الثاني ما ذكر من الأول على طريقة الاحتباك، مما أضفى بلاغة وعمقاً في المعنى للنص القرآني.

وقوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَ مَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، البقرة، الآية (93).

المفردات[1]:

ميثاقكم: الميثاق: العهد، وثَقت به: سَكَنْتُ إليه، واعتمدت عليه، والميثاق: عقد مؤكد بيمين وعهد.

المعنى الإجمالي للآية[2]:

يسترسل الخِطاب القرآني في بيان تمرد اليهود وتوغلهم في الكفر والعصيان، فيقول الحق – تبارك وتعالى – مخاطباً لهم: واذكروا إذْ أخذنا عهودكم ووعودكم بأن تأخذوا ما أُمِرْتم به في كتابكم بجد ونشاط وطاعة وانقياد والتزام، من غير تراخ ولا إهمال، إلاَّ أنَّ اليهود لمَّا رأوا أنَّ ما أُنزِل عليهم من التكاليف الشاقة، وما جاء من سيرة النبي المنتظر، وكان هذا النبي من العرب، حملوا حقداً في نفوسهم ورفضوا

([1]) ينظر: الجوهري، الصحاح، 1562/4، الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، ص 853، وابن منظور، لسان العرب، 371/10.

([2]) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، 74/1، والسمعاني، تفسير القرآن، 110/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، 31/2.

أن يوفوا بالعهود التي قطعوها على أنفسهم، فهددهم الله – تعالى – بأن يرفع جبل الطور فوقهم، ويسقطه عليهم، فأذعنوا، ثم عصّوْا وازدادوا كفراً وشركاً، فعبدوا العجل؛ لتوغل الكفر فيهم، وقد أمر الله – تعالى – نبيه الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يرد عليهم، فيبكتهم، ويوبخهم؛ بأنه إذا كان إيمانهم بالتوراة يدعوهم إلى عبادة العجل، وقتل الأنبياء، والفسوق، والعصيان، وكل ما هو قبيح من الأفعال والأقوال، فبئس هذا الإيمان الذي تدَّعون، وإنكم لكاذبون، لأنَّ ما جاء في التوراة مخالف لما أنتم عليه وما تزعمون.

الجانب النحوي والصرفي[1]:

﴿وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ...﴾ الجملة معطوفة على ما قبلها بقصد الانتقال في المجادلة، وإظهار كل ما من شأنه إبطال دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم خاصة، ﴿أخذنا﴾ بإسناد الفعل إلى (نون) العظمة؛ لاستحضار قوته، وحقيقة إعطائهم العهد، ﴿ميثاقكم﴾ الميثاق الأصل فيه (الموثاق) مِوْثاق، وقعت الواو بعد كسرة فقلبت باء طلباً للخفة[2]، وقد أضيف الميثاق إلى ضمير اليهود؛ تأكيداً لحقيقة صدور العهد منهم، ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾، ﴿رفعنا﴾، أسند الفعل إلى نون العظمة؛ للدلالة على قوله سبحانه، وقدَّم الظرف على المفعول؛ لإفادة العناية والاهتمام بهذا الحدث، ﴿آتيناكم﴾ أسند الفعل إلى ضميرهم تأكيداً؛ لعلمهم بما أنزل الله عليهم، ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ بناء الفعل ﴿أشربوا﴾ للمجهول؛ للعلم بالفاعل وهو الله – سبحانه وتعالى–، إذْ لا أحد يقدر على ذلك غيره، وأسند الفعل لضمير اليهود؛ للدلالة على المبالغة في حبهم للعجل وتمكنه منهم، ﴿في قلوبهم العجل﴾ قدَّم الجار

([1]) ينظر: أبو حيان (محمد بن يوسف)، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، 495/1، والبقاعي (برهان الدين)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الهند، 52/2، والألوسي، روح المعاني، 322/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 609/1.

([2]) ينظر: عبد الله الأسطى، الطريف في علم التصريف، جمعية الدعوة الإسلامية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ص 134.

والمجرور؛ للاعتناء بذكر محل الإشراب، وحذف المضافين (حب عبادة العجل) وأقام المضاف إليه مقامهما (حب العجل)، مبالغة في حبهم له وشغفهم به، ﴿بكفرهم﴾ الباء للسببية، أي بسبب كفرهم، أو للمعية أي: مع كفرهم، فازدادوا كفراً على كفرهم السابق، ﴿بئسما﴾ فعل للذم، إيذاناً وإشارة لقبح ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال،﴿إيمانكم﴾ أضاف الإيمان إلى ضمير اليهود؛ لبيان بطلانه لما صدر عنهم مخالف للإيمان الحقيقي، ﴿إن كنتم مؤمنين﴾، شرط وفعله، والجواب محذوف، والتقدير: إن كنتم مؤمنين فلِمَ فعلتم ذلك!؟

الجانب البلاغي[1]:

﴿وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾ ذكر الطور لاستحضار صورة الجبل؛ وفيه دلالة قوية على الخوف وتهويل الأمر، وحث على الطاعة، وهذا مناسب لما عُرف عنهم من الإعراض والعصيان، وفي الآية إيجاز بحذف القول، والتقدير: (وقلنا لهم خذوا ما آتينكم...) ونكتة هذا الحذف هو استمرار السياق في صيغة الخطاب لطلب الامتثال والانقياد لأوامر الله – سبحانه وتعالى –، ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ الأخذ بالقوة كناية عن ضرورة الاهتمام بما طلب منهم، ﴿واسمعوا﴾ كناية عن الالتزام بالامتثال والانقياد، وليس المراد به الإصغاء، ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، وفيه دلالة على المبالغة في العصيان، وقد يكون هذا التمييز كناية عن عدم قبولهم شيْئاً مِمَّا أمرهم الله به، ﴿واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ استعارة مكنية والمراد؛ تمكن فيهم حب عبادة العجل، ورسخت صورته في قلوبهم، وذكر (القلب) لأنه محل الحب والكراهية، ﴿قل﴾ فعل الأمر زيادة في توبيخهم وتبكيتهم، ﴿بئس ما يأمركم به إيمانكم﴾ إسناد الأمر إلى الإيمان تهكم وتوبيخ لهم؛ إذْ أنَّ الإيمان معنى من المعاني المجردة، لا يأمر ولا ينهى، إنما هو من قبيل المجاز، وإضافة الإيمان إليهم للإيذان ببطلانه لما هم عليه من الكفر العصيان،

([1]) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، 52/2، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 131/1، والألوسي، روح المعاني، 326/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 610/1.

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ إيجاز بحذف الجواب لدلالة السياق عليه، أي: إن كنتم مؤمنين فلِمَ فعلتم ذلك!؟

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة، الآية (93).

المفردات[1]:

خالصة: من (خَلَصَ)، يخلُص، خَلُوصاً، وخَلاَصاً، والخالص: ما ليس فيه شوائب، والخلاص من الشيء: الانفراد عنه، والإخلاص في الدين: هو إفراد الله بالعبادة، وترك سواه.

المعنى الإجمالي للآية[2]:

قد استرسل الخالق – عزَّ وجلَّ – في سرد محاججة اليهود على ما ذهبُوا إليه من معتقدات باطلة، فتضمنت هذه الآية إبطالاً لما ادَّعوه من تمسكهم بالتوراة، وأنهم بذلك قد استحقوا رحمة الله وحبه لهم، وكان هذا الحب والتقدير من الخالق – عزَّ وجلَّ – سبباً في دخولهم الجنة، وكونها خالصة لهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الناس، وقد أُبْطِلَت دعوى إيمانهم بالتوراة بما ارتكبه أسلافهم من قبح الأقوال والأفعال؛ من قتل الأنبياء، وعبادة العجل، وغير ذلك ممَّا يتضمن خروجهم عن أوامر التوراة التي ادَّعو الإيمان بها، وثبت بذلك أنَّه لا حظَّ لهم من الجنة لِمَا قدَّموه في الدنيا، وانكشف أمرهم، وبطل اعتقادهم في حسن العاقبة، وقد أمر الله – سبحانه وتعالى – نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى محاججتهم على ادِّعائهم بأن يقول لهم: إذا كنتم على ثقة من أنَّ الجنة لكم، ولا يدخلها غيركم فاطلبوا الموت لتصلوا إلى هذه المنزلة الرفيعة، فنعيم الدنيا قليل بالقياس إلى نعيم

([1]) ينظر: الجوهري، الصحاح، 1037/3، والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 292.

([2]) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، 75/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، 32/2، والبيضاوي، أنوار التنزيل، 95/1.

الآخرة، فمن يثق أنَّه من أهل الجنة، وأنَّه مستأثرٌ بنعيمها، يجب أن يتمنى الموت، ويرضى به، فلما رفضوا ذلك كان رفضهم دليلاً قاطعاً على بطلان ادِّعائهم.

الجانب النحوي والصرفي[1]:

﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله﴾، ﴿قل﴾ أمر للرسول الكريم لمناسبة السياق، وهو لمقارعتهم، ومواجهتهم، وتبكيتهم، وقِيل لغيره مِمَّن يقوم بمحاججة اليهود، ﴿لكم الدار﴾ قدَّم الجار والمجرور (خبر كان) للعناية، والاهتمام، والتخصيص، والحصر؛ وذلك بناءً على ما قدَّموه من أقوال وأفعال، والكلام على حذف مضاف، والتقدير: (نعيم الدار الآخرة). فكان الحذف لإفادة الشمول، أي الدار وما يتعلق بها، أو يوجد بها، و ﴿الآخِرة﴾ وصف للدار، وفيه استشعار، وإشارة إلى أنها دار الاستقرار والقرار، ﴿عند الله﴾ عند ظرف مكان، والمعنى فيه العِنْدِيَّة، والمراد: المرتبة، والمكانة، والشرف، لا المكان، وفي إضافة الظرف إلى لفظ الجلالة تشريف، وبيان للمنزلة، وأن المراد من الدار الآخِرة إنما هي الجنة؛ لأنها مكان الإقامة بعد الدنيا،﴿خالصة﴾ المشتق اسم فاعل، حال من ﴿الدار﴾، يفيد التأكيد والاستمرار على أنها سالمة دائمة لهم دون غيرهم، ﴿من دون الناس﴾ دون، ظرف لإفادة الاختصاص بهم دون غيرهم من الناس، واللام في ﴿الناس﴾ لاستغراق الجنس عامة، فأفادت الشمول والعموم، أي: دون الناس عامة، ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾، ﴿فتمنوا الموت﴾ جواب للشرط المحذوف لدلالة المذكور عليه، أي: إن كنتم صادقين فتمنوا الموت، وهو لمقارعتهم، وتبكيتهم، وإظهار كذبهم وبطلان معتقدهم.

([1]) ينظر: أبو حيّان، البحر المحيط، 497/1، والبقاعي، نظم الدرر، 58/2، والألوسي، روح المعاني، 325/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 614/1.

الجانب البلاغي[1]:

﴿قل إن كانت لكم الدار ...﴾ هذه الجملة استئناف بياني، لبيان كذبهم في مقالتهم السابقة بمقارعتهم ومجادلتهم لتأكيد مقالتهم بتمني الموت، وقد فصلت هذه الجملة عمَّا قبلها ﴿قل بئس ما يأمركم ...﴾ لما بينهما من كمال الاتصال؛ وذلك لاتفاقهما على تكذيب اليهود في مقالتهم بالدليل، والبرهان، وقد اسْتُعْملت ﴿إنْ﴾ للتوبيخ والتهكم لِمَا صدر عنهم من القول بما لا صحة له، ﴿إن كنتم صادقين﴾ تكرار الكلام للتنبيه على كذبهم، والتأكيد على بطلان ما يقولون، وقد استعملت ﴿إنْ﴾ في هذا الموضع لتقبيح صمتهم، وإثارة نفوسهم، وإلزامهم بالحجة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة، الآية (96).

المفردات[2]:

هدى: من هديَ، يهدِي، هدايةً، والهداية: التوجيه بلطف، منها: هداية الله للإنسان، والهداية: بيان المسار الصحيح في القول والعمل.

بشرى: من (بَشَرَ)، بشَّرته فاستبشر، والبشرى: الخبر السار، والبشرى والبشارة، سماع ما يسر، ويجلب الفرح والسرور.

المعنى الإجمالي للآية[1]:

([1]) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 131/1، والألوسي، روح المعاني، 327/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 614/1، مجمع القرآن الكريم بالشارقة، موسوعة التفسير البلاغي، 774/1 وما بعدها.

([2]) ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 124، 835.

توضح هذه الآية الكريمة موقف اليهود من الملائكة الأطهار حيث زعم اليهود أنَّ جبريل – عليه السلام – عدوّ لهم؛ لأنه قد صرف النبوة عنَّهم إلى غيرهم، بعد أن أنزلها الله فيهم، وزعمُوا أنه ينزل بالعذاب، والجذب، والشدة، والحرب والقتال، وأنَّ ميكائيل ولي لهم، وهو صاحب كل أمنٍ، وتوفيق، وسلامٍ، فهو ملك الرحمة والخير، والخصب، والنماء، ومن أوجه محاججتهم للرسول الكريم؛ أنهم سألوه عمَّن نزل عليه بالوحي، فلما أخبرهم بأنه جبريل – عليه السلام –، قالوا هو عدوَّ لنا، ولو كان ميكائيل لآمنا بما جاء به، وهم بذلك يثبتون أنَّ جبريل – عليه السلام – مُرْسَل من الله – تعالى –، مع أنهم يبغضونه، وهذا يدل على اضطراب معتقدهم الديني، وقد جاء الخطاب القرآني لردعهم عن مقالتهم، فأمر الله نبيه الكريم بأن يقول لهم إنَّ مَنْ كان عدواً لجبريل فهو عدوّ لله – تعالى – من باب أولى؛ وذلك لأنَّه – عليه السلام – مُرْسَل من عند الله بالقرآن، وكل ما جاء به حدث بأمر الله وعلمه، فمن عاد الرسول عادى المرسل، فلا حجة لهم في اعتباره عدوهم، فقد نزل بالقرآن، والقرآن مصدق لما نزل قبله من الكتب السماوية، وفيه الهداية في الدنيا، والفرح والسرور بحسن العاقبة في الآخِرة.

الجانب النحوي والصرفي[2]:

﴿مَنْ كان عدوّاً لجبريل﴾، اسلوب شرط حذف جوابه لدلالة السياق عليه، أي: من كان عدواً لجبريل فعداوته لا وجه لها، أو: فإن الله لا يعبأ به، أو غير ذلك، وهو شرط عام والمراد به الخاص وهم اليهود، والقصد من ذلك الشمول، أي شمول كل من يعادي جبريل – عليه السلام –، وهي جملة مستأنفة، مقول للقول، ﴿فإنه نزله على قلبك﴾ الضمير الأول يعود على جبريل – عليه السلام –، والثاني للقرآن

([1]) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، 76/1، السمعاني، تفسير القرآن، 112/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، 36/2، والبيضاوي، 95/1.

([2]) ينظر: أبو حيَّان، البحر المحيط، 512/1، والبقاعي، نظم الدرر، 67/2، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 133/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 619/1.

الكريم، وقد أضمر دون ذكر القرآن مسبقاً؛ إشارة إلى علو شأنه، ورفعته، ومنزلته، وشهرته التي أغنت عن ذكره، وفي استعمال الفعل ﴿نزَّل﴾ بالتضعيف قوة في الفعل، وبياناً للمبالغة في تقرير التنزيل وتأكيده، ﴿على قلبك﴾ استعمل أداة الاستعلاء (حرف الجر) (على) للدلالة على تمكن القرآن واستقراره في قلبه – صلى الله عليه وسلم –، وذكر القلب لأنه محل لحفظ كل شيء، وفيه زيادة لتقرير التنزيل ببيان المحل، ﴿بإذن الله﴾ حال من فاعل ﴿نزلَ﴾، وفيه بيان لقيام جبريل – عليه السلام – بالتوجه إليه لتنزيله، وصدق عزيمته في القيام بما أمره الله به ويسره له، ﴿مصدقاً﴾ حال من الضمير (المفعول) الدال على القرآن الكريم، وفيه إشارة إلى أنَّ الكتب السماوية يكمل بعضها بعضاً، ﴿لما بين يديه﴾ أي من الرسل والكتب، ﴿وهدى وبشرى﴾ استعمل المصدر دون اسم الفاعل للمبالغة في إحداثه الهدى والبشرى، وهما معطوفان على ﴿مصدقاً﴾ حالان من القرآن الكريم، أي: مصدقاً وهادياً ومبشراً، ﴿للمؤمنين﴾ الجار والمجرور متعلق ﴿هدى وبشرى﴾ فهما لا يكونان إلاَّ للمؤمنين من عباده جلَّ شأنه.

الجانب البلاغي[1]:

﴿مَنْ كان عدواً لجبريل﴾ ﴿مَنْ﴾ اسم مبهم لاستغراق الذوات العاقلة، والخبر محذوف لدلالة السياق عليه، والمراد: مَنْ كان عدواً لجبريل فإنه لا يضره أو ما في معناه، وفيه إشارة لمكانته الرفيعة عند الله – تعالى – ،وعلو شأنه؛ إذْ أنه قد خصه بقربه واختاره لرسالته، ﴿فإنه نزَّله على قلبك﴾ قد ضمت هذه الجملة أكثر من مؤكد؛ وذلك لشدة إنكار اليهود للرسول الكريم، والقرآن المجيد، فـ ﴿إنه نزَّله﴾ جاءت ﴿إن﴾ لتقرير هذا التنزيل وتأكيده، وكان الخبر بالجملة الفعلية وفعلها مضعف العين ﴿نزَّل﴾؛ لتقوية الفعل، وبالتالي عمق المعنى المستفاد من الفعل، وهو كثرة تنزيله من عند الله، وكثرة ثبوته في قلب الرسول – صلى الله عليه وسلم –، ﴿قلبك﴾ جاء ضمير

([1]) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، 68/2، و الألوسي، روح المعاني، 332/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 622/1.

الخطاب للرسول الكريم تشريفاً، وتكريماً له، ورفعة لشأنه في خصِّه بالرسالة والقرآن دون غيره، وقد جاء الخطاب القرآني بالخطاب دون الغيبة كما هو السياق قبله، لبلاغة الالتفات في هذا الموضع، وهو بيان عظم المخاطَب ومكانته عند الخالق – عزَّ وجلَّ –، ﴿لما بين يديه﴾ كناية عن الأولوية في السبق، فالسابق، ثم المسبوق، وفيه بيان لطول المدَّة بين القرآن وما سبقه من الكتب السماوية الأخرى، ﴿وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ فيه تخصيص للمؤمنين بالهداية، والبشارة، والتعريض باليهود، ومَنْ على شاكلتهم بما هم فيه من الضلال، وهو كناية عن الجزاء الحسن لمن اتبع أوامر الله واجتنب نواهيه.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هَوداً أَوْ نَصَارى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة، الآية (110).

المفردات[1]:

هوداً: جمع (هائد) من (هَوَدَ)، وقد يكون مصدراً، والمقصود به اليهود، وهم أتباع موسى – عليه السلام –.

نصارى: من (نصر)، والمفرد نصران، ونصرانة، والنصارى: هم أتباع المسيح عيسى – عليه السلام–.

البرهان: البينة، الحجة الواضحة، والدليل القاطع الذي يقتضي الصدق ولا مجال فيه للشك، قِيل من (بَرِهَ)، بُرْهَان: فُعْلان.

المعنى الإجمالي للآية[2]:

([1]) ينظر: الجوهري، الصحاح، 557/2، 829، والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 121، 809، 847، وابن منظور، لسان العرب، 439/3، 212/5، 476/13.

([2]) ينظر: الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، 507/2 والسمرقندي، بحر العلوم، 84/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، 74/2، 75، وابن كثير، تفسير ابن كثير، 226/1.

إنَّ من أشد القبح في الأقوال والأفعال التي توصَّل إليها أهل الكتاب من اليهود والنصارى ما ذكره الله – عزَّ وجلَّ – في هذه الآية، حيث قال اليهود: لن يدخل الجنة إلاَّ مَنْ كان يهودياً، وقال النصارى: لن يدخل الجنة إلاَّ مَنْ كان نصرانياً، وما هذا إلاَّ نتاج غرورهم، وكفرهم، وعنادهم، ورغبتهم المُلِحَّة في إلقاء الخوف و الفزع والشك في قلوب المسلمين مِمَّا وعدهم به الرسول الكريم من الجزاء الحسن بالجنة، فهذه أمانيهم الباطلة لافتقارها الدليل، والحجة، والبرهان، وهم لشدة ما تمنوْا ذلك، وقرروه في أنفسهم، فقد اعتقدوه حقاً، و صدَّقوه، وقد ردَّ الله – تعالى – ادِّعاءهم هذا بأن أمر الرسول الكريم بأن يُطالبهم بالحجة، والبرهان، والدليل القاطع من التوراة أو الإنجيل على ما يقولون، من اختصاصهم بالجنة فالدعوى باطلة ما لم يكن لها دليل وبرهان.

الجانب النحوي والصرفي[1]:

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلاَّ من كان هوداً أو نصارى﴾ جملة مقول القول معطوفة على ما قبلها، وهي لبيان ما وصل إليه حقدهم، وخبثهم في تزييف الحقائق، وقول الأباطيل، وعبَّر بالمضارع مع النفي لفضح؛ ضلالهم واستمرارهم فيه، وكذلك فإن صيغة المضارع مناسبة للسياق اللغوي؛ وذلك أنَّ الجنة في المستقبل فادخلوها أمر مستقبلي يناسبه فعل الاستقبال، ﴿إلاَّ﴾ أداة استثناء لإفادة الحصر، أي: حصرهم لمن يدخل الجنة، فقد قصروها على اليهود والنصارى كما يعتقدون، وفي هذا التعبير إفادة لما هم عليه من العناد والكفر، وقد جاء اسم الناقص المضمر فيه مفرداً حَمْلاً على لفظ ﴿مَنْ﴾، و عبَّر بالجمع في الخبر ﴿هوداً﴾ حملاً على معنى ﴿مَنْ﴾ حيث يدل على الجمع، وقدَّم ﴿هوداً﴾ على ﴿نصارى﴾ لتقدُّم اليهود – في الزمن – على النصارى ﴿هوداً أو نصارى﴾ بالعطف، و﴿أو﴾ للتفصيل، أي تفصيل ما تم إجماله، أي: كل فريق قال ذلك، ﴿تلك أمانيهم﴾ استخدم لفظ الإشارة الدال

([1]) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، 112/2، والألوسي، روح المعاني، 158/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 673/1.

على البعد؛ تنويهاً لبعدهم عن هذه الأماني التي يسعَوْن إليها، وجاء لفظ (الأماني) بالجمع إشارة إلى كل ما تمنوه مِمَّا سبق ذكره لا هذه الأمنية فقط، ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ ﴿قل﴾ لفظ الأمر لتقريعهم وتبكيتهم في مقالتهم، (البُرهان) فُعْلان عبَّر به؛ لإفادته القطع والقوة؛ وذلك لضم أوله، وزيادة الألف والنون في آخِره، وفيه دلالة قاطعة على كذبهم، وافترائهم، وعنادهم، ﴿إن كنتم صادقين﴾ شرط حُذِف جوابه لدلالة السياق المتقدم عليه والتقدير: إن كنتم صادقين فبينوا ذلك بالبرهان، أو نحو ذلك، وقد جاء هذا الشرط زيادة في تقريرهم، وتقريعهم، وتعريضاً بكذبهم وافترائهم.

الجانب البلاغي[1]:

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلاَّ من كان هوداً أو نصارى﴾ في هذا الموضع بلاغة اللفّ والنشر، وذلك بإجمال القول ثم تقسيمه، فأراد اليهود والنصارى معاً في قوله ﴿قالوا﴾، وذلك باستخدام الضمير، ثم نشرهما بأن ذكر اليهود والنصارى، حيث قال مَنْ كان هوداً أو نصارى، إذ المعنى قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلاَّ مَنْ كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلاَ مَنْ كان نصرانياً، فلف القولين وجعلهما قولاً واحداً لغرض الاختصار، ﴿تلك أمانيهم﴾ تشبيه بليغ، وذلك أنَّ التعبير قد جاء بـ ﴿تلك﴾ اسم الإشارة للبعيد؛ إيذاناً بأن جميع أمانيهم السابقة مثل هذه الأمنية البعيدة عن الواقع، ومستحيلة التحقيق،﴿قل هاتوا برهانكم﴾ الأمر للرسول الكريم لتقريعهم، وتبكيتهم لما ذهبُوا إليه من القول، ﴿إن كنتم صادقين﴾ تدل على شدة كذبهم، وبطلان معتقدهم، فهي شرطية للتعريض والتهكم بظنونهم الباطلة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ البقرة، الآية (119).

([1]) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، 111/2، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 146/1، والألوسي، روح المعاني، 358/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 672/1، ومجمع القرآن الكريم بالشارقة، موسوعة التفسير البلاغي، 129/2.

المفردات[1]:

المِلَّة: من (مَلَلَ)، وتملَّل وامتلَّ: دخل في ملتهم، وهي: الدين، والشريعة، مثل: الإسلام، واليهودية، والنصرانية، والملة: كل ما شرعه الله – تعالى – لعباده على لسان أنبيائه ليصلوا به إلى الله، فيتبعُوا أوامره ويجتنبوا نواهيه.

المعنى الإجمالي للآية[2]:

يسترسل الخطاب القرآني للنبي الكريم في بيان صفات أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فيقول الحق – تبارك وتعالى – مخاطباً النبي الكريم: إنَّ اليهود والنصارى لن يرضوا عنك مهما فعلت لهم من خير حتى توافقهم، وتتبع كتابهم بما بدَّلوا فيه وحرَّفوا، وأخفوا ما جاءهم من أمور الدين، فاترك ما يرضيهم، وأقبل على طلب رضى الله – سبحانه وتعالى –، فالإسلام هو السبيل إلى الألفة والمحبة، فهو الدِّين الكامل، الشامل النافع الصحيح، وما عداه – بعد تحريفه – مبني على الهوى والشهوة، وهو البيان المقنع، والقضاء الفاصل بينك وبينهم، وقد حذَّر الله الرسول الكريم من اتباع أهوائهم بعد ما جاءه من القرآن والسنة المعلوم بصحتهم، فلا يجد له ولياً ولا نصيراً يدفع عنه عقاب الله له على اتباعهم، بعد أن أوضح له كذبهم، وتشددهم في باطلهم، وثباتهم على الكفر والعناد.

([1]) ينظر: الجوهري، الصحاح، 5، 1821، والراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 733، وابن منظور، اللسان، 631/11.

([2]) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، 89/1، والسمعاني، تفسير القرآن، 133/1، والبغوي، معالم التنزيل، 143/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، 93/2.

الجانب النحوي والصرفي[1]:

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى﴾، ﴿لن﴾ عبر بالنفي لتأكيد التيئيس من إيمانهم، وهي هنا لنفي المستحيل لتعلقه بالمستحيل؛ وذلك أنَّ نفي الرضى متعلق وناتج ومترتب على نفي اتباعه لهم، وعبَّر بـ ﴿لا﴾ بين المتعاطفين للتأكيد وتفصيل النفي، أي: لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتهم، ولن ترضى عنك النصارى حتى تتبع ملتهم، فرضى كل منهما مغاير لرضى الآخر، وهذا ما أفاده وقوع ﴿لا﴾ بين المتعاطفين، والنفي عامة يتضمن ويدل على اليأس من إسلامهم، وفيه تنبيه على أنهم لا يرضيهم إلاَّ ما لا يجوز وقوعه من الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، ﴿تتبع﴾ من الاتباع، وهو (افتعال) وهذه الصيغة تدل على القبول والرضى، فهي تدل على أنَّ الاتباع لملتهم يجب أن يكون عن رغبة تامة منه – صلى الله عليه وسلم –، ﴿ملتهم﴾ أضاف (المِلَّة) إلى (ضميرهم) لا إلى صاحبها إبراهيم – عليه السلام –؛ ليدل على كل ما أحدثوه من التبديل، والتزييف، والتحريف، والتغيير لما أنزله الله إليهم، وقد عبر بالمفرد ﴿ملة﴾؛ ليدل على أن الكفر ملة واحدة، ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾، ﴿قل﴾ فعل الأمر، والمخاطب هو الرسول الكريم؛ وذلك زيادة لهم في تقريعهم، والتعريض بهم، ولم يقل (قل لهم)؛ للإعراض عنهم وتجاهلهم، ﴿إنَّ﴾ الناسخة لتأكيد الخبر المذكور بعدها، وهو إنَّ الكتاب العزيز هو الصراط المستقيم، وإضافة المصدر ﴿هدى﴾ إلى لفظ الجلالة تشريفاً وتعظيماً، وقد جاء بضمير الفصل ﴿هو﴾؛ للتخصيص، والحصر، ورداً على إنكارهم، وإعادة المصدر معرفاً بـ (أل)؛ للدلالة على كمال معناه في الهداية والخير، والحصر والتأكيد في الآية يدلاَّن على أنَّ القرآن هو الهدى، وغيره هو الهوى ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ اللام موطئة للقسم، وقد تضمن هذا القسم شرطاً وجوابه، وفي القسم تأكيد للخبر، ﴿أهواءهم﴾ عبَّر بالجمع؛ ليدل على تعدد شهواتهم، ومعتقداتهم، ولم يعبر

([1]) أبو حيان، البحر المحيط، 590/1، والبقاعي، نظم الدرر، 140/2، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 153/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 693/1.

بالضمير الراجع إلى الملَّة، وعبَّر بالاسم الظاهر ﴿أهواءهم﴾؛ للشمول والعموم، أي أنَّ الأهواء شاملة لتكذيب النبي الكريم، والقرآن، واعتقاداتهم الباطلة في أنَّ ملتهم أفضل الملل، ولا ينقضها أي شرع آخر، وكذلك في لفظ ﴿أهواءهم﴾ دلالة على أنَّ جميع الفرق المخالفة لا يرضيهم شيء من الرسول الكريم إلاَّ اتباعه لملتهم وهواهم، وأضاف (الأهواء) إليهم؛ لتدل على أنها بدعهم، وضلالاتهم، ﴿مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ جواب للقسم، وزيادة ﴿من﴾ لتأكيد التحذير، تحذير للرسول الكريم من استرضاء اليهود والنصارى، والمراد به تحذير لكل مَنْ هو مسلم أن يتبع أهواءهم بعد ما عرفه من الإسلام، إذْ أنَّ الرسول الكريم معصوم من ذلك، ﴿ولي، نصير﴾ فعيل بمعنى فاعل، وذلك مبالغة في المعنى أي ما له من مانع، ولا ناصر من عقاب الله – تعالى –، وقد اشتمل هذا التحذير على مؤكدات عِدَّة، وهي القسم، وجملة الشرط، واللام، والجملة الاسمية، فكان كل ذلك أبلغ في فهم المعنى المراد.

الجانب البلاغي[1]:

﴿لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى﴾ التعبير بالنفي للإشارة بأن رضاهم غير حاصل في الحاضر ولا في المستقبل، وفيه دلالة على تيئيسه من إسلامهم عليه الصلاة والسلام، وقد قدَّم اليهود على النصارى؛ لشدة عنادهم في هذا ونحوه، ولأنهم الأسبق زماناً ورسالة من النصارى، ﴿حتى تتبع ملتهم﴾ كناية عن اليأس تماماً من إسلام اليهود والنصارى، واتباعهم لتعاليم الدين والشريعة، ﴿إن هدى الله هو الهدى﴾ أسلوب قصر بطريق الحصر؛ لإفادة أن شريعة الإسلام هي عين الهدى، ولا مجال للهدى والاستقامة بعيداً عنه، وفيه إبطال لكل غرورهم، وعنادهم، واعتقادهم بأن الهدى هو ما هم عليه من الضلال، وتعدد المؤكدات إشارة إلى شدة عنادهم وبعدهم عن الحق، فـ ﴿إنَّ﴾ لتحقيق الخير، وإبطال التردد، والجملة الاسمية

([1]) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، 103/1، والبقاعي، نظم الدرر، 141/2، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 153/1، والألوسي، روح المعاني، 369/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 693/1، ومجمع القرآن الكريم بالشارقة، موسوعة التفسير البلاغي، 202/2.

لتدل على ثبوت الهدى في الإسلام، و ﴿هدى الله﴾ في الإضافة للاسم الأعظم هيبة في النفوس؛ لأنه الاسم الجامع لسائر الصفات، و ﴿هو﴾ للتخصيص، والتوكيد للخير، ورداً لإنكارهم له، ﴿الهدى﴾ لاستغراق الجنس، أي أن الهدى كل الهدى هو ما جاء به الرسول الكريم من عند الله – تعالى – ﴿الذي جاءك من العلم﴾ عبَّر بالمصدر ﴿العلم﴾ والمراد، المعلوم، وهو مجاز مرسل لتفخيم الأمر وتهويله، أي أنه قد أُنزل عليه كل العلم المقابل للجهل، وفي هذا تعريض بهم وبما يدعونه من الباطل، ﴿مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ جملة تذييلية، الغرض منها أن ولاية الله ونصره للمسلم تتطلب منه الاستقامة، وبغض كل ما نهى عنه الله، فلا ولاية ولا نصير غير ولاية الله ونصره، وقد جاءت ﴿من﴾ زائدة لتأكيد التحذير، وقدَّم ﴿ولي﴾ على ﴿نصير﴾ إيذاناً وإشارة إلى التكامل الموجود بين الولاية والنصرة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَرَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة، الآية (134).

المفردات[1]:

(هوداً، نصارى، ملَّة)[2].

حنيفاً: من (حنف)، والحَنْفُ، وهو الاعوجاج في الرِّجل، حيث تقبل القدم بأصابعها على القدم الأخرى، والحنيف: المسلم المائل إلى الحق وهو الإسلام، الثابت عليه، فيتحنف، ويقبل على أمر الله فلا يلتوي في شيء من أقواله أو أفعاله.

المعنى الإجمالي للآية[3].

في سياق افتراء أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومحاججتهم للرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وأتباعه قول اليهود والنصارى للمؤمنين: كونوا هوداً أو

([1]) ينظر: الجوهري، الصحاح، 1347/4، وابن منظور، لسان العرب، 56/9.

([2]) تمَّ التعريف بهذه المفردات سابقاً.

([3]) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، 96/1، والسمعاني، 143/1، والقرطبي، تفسير القرطبي، 139/2، والبيضاوي، أنوار التنزيل، 108/1.

نصارى تهتدوا، فقد قال اليهود إنَّ نبيهم أفضل الأنبياء، وكتابهم أفضل الكتب، ودينهم أفضل الأديان، وكذلك قال النصارى مثل قول اليهود، فكفر الفريق الأوَّل بعيسى والإنجيل، ومحمد والقرآن، وكفر الفريق الثاني بموسى والتوراة، ومحمد والقرآن، واعتقد الفريقان أنَّه لا دين إلا دينهم الذي هم عليه، فجاء ردّ الحق – تبارك وتعالى – بأمره لنبيه الكريم أن يقارعهم تكذيباً لهم بأنَّ الأنبياء إنما كانوا على الحنيفية والإسلام، فقال على لسان نبيه الكريم قل لهم: لا نكون كما تقولون؛ بل تعالوا نتبع جميعاً ملة إبراهيم الحنيف؛ حيث نتفق نحن وإياكم على أنَّ ما جاء به إبراهيم – عليه السلام – هو الدِّين الحق الذي أمرنا الله به، ولا خلاف بيننا أنَّ إبراهيم – عليه السلام – لم يكن يعبد الأصنام، ولم يكن من اليهود، ولا من النصارى، بل كان حنيفاً مسلماً، حيث إنَّ الله – تعالى – لم يبعث نبياً إلاَّ بالإسلام مهما اختلفت الشرائع، فالقصد هو توحيد الله – عزَّ وجلَّ – والإيمان برسله وكتبه جميعاً.

الجانب النحوي والصرفي[1]:

﴿وقالوا﴾ الواو عاطفة على ما قبلها من الافتراءات والأكاذيب التي ذكروها، والضمير في ﴿قالوا﴾ يعود على رؤساء الكفر من الفريقين، وفي قولهم هذا تعريض بمعتقداتهم الزائفة الباطلة، ﴿هوداً أو نصارى﴾ حرف العطف يفيد تقسم وتنويع القول وليس للتخيير، فهو من باب التفريع والتفصيل، فالمعنى: قالت اليهود كونوا هوداً تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، وفي هذا دلالة على عدم اتفاق اليهود والنصارى على دين واحد، فكل منهم يكفِّر الآخر، ﴿تهتدوا﴾ مجزوم لأنه واقع في جواب الطلب، أي: إنكم إذا فعلتم ذلك اهتديتم وكنتم على سنن الاستقامة، وفي مقالتهم هذه تعريض بكفرهم، ومعتقداتهم الباطلة، ﴿قل﴾ الأمر للرسول الكريم على سبيل الرد عليهم، وتنبيههم إلى الحق الذي يجب اتباعه، ﴿بل ملة إبراهيم

([1]) ينظر: البيضاوي، أسرار التنزيل، 108/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 646/1، والبقاعي، نظم الدرر، 185/2، والألوسي، روح المعاني، 391/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 736/1.

حنيفاً﴾، ﴿بل﴾ للإضراب عن زعمهم، وادِّعائهم، ومعتقدهم الباطل، وتقرير لملة إبراهيم – عليه السلام –، ﴿ملة﴾ بالنصب مفعول لفعل محذوف، والتقدير: ﴿بل نتبع ملة إبراهيم﴾، أو أنها منصوبة على الإغراء ﴿بل الزموا ملة إبراهيم﴾، أو على أنها خبر للناقص، وفي إضافتها إلى إبراهيم – عليه السلام – إشارة إلى أنها الدين الصحيح، الكامل، الشامل الذي يجب اتباعه، ﴿حنيفاً﴾ فعيل، للدلالة على عمق الاستقامة والتمسك بكل ما هو خير، ونبذ الباطل، والزيف، والضلال، وهو حال من ﴿إبراهيم﴾ – عليه السلام –، ﴿وما كان من المشركين﴾ النفي لتأكيد نفي الإشراك عن إبراهيم – عليه السلام –، والإشارة إلى تحلِّيه بكل ما هو حسن، وفي هذه الآية يظهر التعريض بشرك أهل الكتاب واضحاً، وذلك أنَّ اليهود قالت: عُزَيْرٌ ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله وهذا شرك بالخالق – عزَّ وجلَّ –.

الجانب البلاغي[1]:

﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ في هذه الآية إيجاز بالحذف، والتقدير: قالت اليهود: كونوا هوداً تهتدوا وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، إلاَّ أنَّ الحذف حَسُن في هذا ونحوه، فكان المعنى أدق وأبلغ، وكذلك فإن بلاغة الاحتباك تقتضي هذا الحذف، حيث إنَّ فائدة الاحتباك في هذا الموضع هي بيان أنَّ اليهود والنصارى قد اجتمعوا على كلمة واحدة وهي الكفر، فالكفر كله ملة واحدة، فكان التعبير بالإضمار أبلغ، ﴿بل ملة إبراهيم حنيفاً﴾ في الإعراض بـ ﴿بل﴾ إبطال لعقيدة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وإثبات لعقيدة إبراهيم – عليه السلام –، وتأكيد على أنَّ ما جاء به إبراهيم – عليه السلام – هو الأحق أن يتبع، وفيه تعريض بكفر أهل الكتاب وعنادهم، ﴿وما كان من المشركين﴾ في هذه الآية يظهر الاحتراس

([1]) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، 184/2، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، 166/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير، 736/1، ومجمع القرآن الكريم بالشارقة، موسوعة التعبير البلاغي، 343/2.

واضحاً، وهو دفع توهم أن تكون الحنيفية مبنية على الشرك، وإنما الشرك في اليهودية والنصرانية المحرفتين، لا في ملة إبراهيم – عليه السلام –، فهذه الآية تُعد توكيداً لقوله ﴿بل ملة إبراهيم حنيفاً﴾، فالحنيف هو المائل عن الباطل، المتمسك بالتوحيد، فالمراد أنَّ الشرك منتفٍ أبداً عن إبراهيم – عليه السلام –، كما يظهر الطباق الخفي بين قوله – تعالى –: ﴿كونوا هوداً أو نصارى﴾، وقوله: ﴿إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ حيث جمع بين التوحيد المدلول عليه بالحنيفية، ومنافاة الشرك الذي يتعلق باليهود والنصارى في قوله ﴿كونوا هوداً أو نصارى﴾، فلا شك أنهم أهل شرك وضلال، وبذلك كانت المقابلة بين أهل التوحيد وأهل الشرك، وبين الباطل والحق، فنرى أنَّ الصور البلاغية قد ساهمت في رسم صورة تعبيرية دقيقة لما عليه حالة أهل الكتاب من الضلال، والاضطراب، والزيف والخداع من جهة، وبين ملة إبراهيم الحنيف، الدين القيِّم، الشامل، الكامل، التام من جهة أخرى، فجاء المعنى على درجة عالية من البلاغة والدقَّة والإيجاز.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة يتضح أنَّ:

1- جاء الخطاب القرآني لأهل الكتاب عن طريق الرسول الكريم – في أغلبه – متضمناً للفظ الأمر الصريح (قل)، فكان مناسباً لإنكارهم وجحودهم للدعوة الإسلامية.

2- السبب الحقيقي وراء عِدَاءِ أهل الكتاب للإسلام والمسلمين يكمن في عدم كون الرسول منهم، وأنَّ ما جاء به يهدد مصالحهم الشخصية ومعتقداتهم.

3- تنوع الخطاب القرآني الموجه إلى أهل الكتاب في دلالاته وتراكيبه، يعطي صوراً بيانيةً يجتمع فيها دقة التركيب، وقوة التعبير، وعمق المعنى، من خلال التحليل النحوي، والصرفي.

4- التركيب النحوي في الخطابات القرآنية يساهم في تعزيز المعاني المراد إيصالها إلى المتلقي، كما أنَّ الصيغ الصرفية المستخدمة تعكس تنوعاً لغوياً فريداً، ممَّا يُثري النصوص، ويعبر عن الفروق الدقيقة في المعاني.

5- استخدام القرآن الكريم لأساليب بلاغية متعددة؛ مثل الاستعارة، والتشبيه، والطباق أضفى جمالاً على النصوص، وجعلها أكثر تأثيراً وعمقاً، وقد ساهمت الأساليب في خلق تواصل فعَّال مع أهل الكتاب، ممَّا يعكس فهماً عميقاً لطبيعة النص.

التوصيات:

1- يجب أخذ الحيطة والحذر من أعداء الإسلام في وقتنا الحاضر والانتباه لكل ما يصدر منهم ما مِنْ شأنه تشويه الدين الإسلامي والمسلمين.

2- توسيع البحث في الجوانب النحوية، والصرفية، للخطاب القرآني؛ لفهم تأثير هذه الأساليب في بناء المعنى القرآني.

3- دراسة الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن الكريم في مخاطبة أهل الكتاب، بهدف فهم كيفية تأثير هذه الأساليب في المتلقي، وربطها بالدراسة النحوية والصرفية.

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

1- ابن عاشور، 1984م، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.

2- ابن كثير، 1419هـ، 1998م، تفسير القرآن العظيم، تعليق: محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

3- ابن منظور، 1414هـ، لسان العرب، وضع حواشيه: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3.

4- أبو حيَّان، 1420هـ، 2000م، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، وزهير جعيد، دار الفكر، بيروت.

5- أبو السعود، بلا (ت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

6- أحمد خليل، 1969م، دراسات في القرآن، دار النهضة، بيروت.

7- الألوسي،1415هـ، 1994م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

8- إميل يعقوب،1427هـ، 2006م، موسوعة علوم العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

9- البغوي،1417هـ، 1997م معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: عثمان جمعة، وسليمان إمسلم، دار طيبة، ط2.

10- البقاعي،1404هـ، 1984م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط1.

11- البيضاوي، 1418هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1.

12- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط (1)، 1996م.

13- الجوهري،1407هـ، 1987م، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط4.

14- الراغب الأصفهاني،1423هـ، 2002م، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت.

15- السعدي، 1420هـ، 2000م، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، تح: عبد الرحمن بن محلا، موسوعة الرسالة، ط1.

16- السمرقندي، بلا (ت) بحر العلوم (في التفسير)، تح: علي معوَّض، وعادل عبد الموجود، زكريا النوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

17- السمعاني، 1418هـ – 1997م، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1.

18- شباب معمر، 2006، 2007م، دلالة الخطاب في القرآن الكريم، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة والدراسات القرآنية، إشراف، محمد زعراط، الجيلالي سلطاني، جامعة وهران السانية.

19- الطبري، بلا (ت)، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تح: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر.

20- عبد الرحمن الفوزان وآخرون، بلا (ت)، المعجم العربي بين يديك (عربي – عربي)، إشراف، الدكتور: محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ، سلسلة العربية بين يديك.

21- عبد الله محمد الأسطى، الطريف في علم التصريف (دراسة صرفية تطبيقية)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط (2)، 2010م.

22- فتحية غزال، دلالة الخطاب القرآني من خلال النداء الموجه لبني إسرائيل، مجلة قضايا معرفية، العدد (6)، جامعة عمَّار ثليجي، الأغواط، الجزائر، 2021م.

23- القرطبي، 1384هـ، 1964م، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2.

24- المناوي، 1410هـ، 1990م، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، 38، عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط1.

25- نخبة من علماء القرآن الكريم (مجمع القرآن بالشارقة)، 1444هـ، 2023م، موسوعة التفسير البلاغي، منشورات القاسمي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط1.

26- هود محمد منصور أبو راس،1431هـ، 2011م، الخطاب القرآني لأهل الكتاب وموقفهم منه قديماً وحديثاً، رسالة دكتوراه في قسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات العليا، جامعة ملايا، كوالالمبور، ماليزيا.